طريق الحرير

وزارة السياحة
في الجمهورية العربية السورية

التصوير الفوتوغرافي والوثائق
صلاح الدين محمد

الغرافيك والإخراج
خليـل محمــد

الفرز الإلكتروني والطباعة
مؤسسة الصالحاني للطباعة

المتابعة
إدارة التطوير و التسويق
السياحي في وزارة السياحة

الطبعة الثانية: دمشق 2010

الغلاف الأول:
تفصيل من لوحة للفنان *Jean-Baptiste Hilaire* (١٧٥٣-١٨٢٢) يمثل احدى قوافل طريق الحرير الكبرى التي كانت تمر بتدمر (تم التصرف بتفاصيل اللوحة للضرورة)

الغلاف الأخير:
مشهد افتراضي لقافلة تغادر دمشق في القرن التاسع عشر من خلال عمل مركب للفنانين Bartlett و Haag (تم التصرف بتفاصيل اللوحتين للضرورة)

صلاح الدين محمد

طريق الحرير

(قافلة تغادر دمشق إلى بغداد) منمنمة من أعمال الواسطي

تجسد المقامة الثانية عشرة "الدمشقية" من مقامات الحريري

طريق الحرير

يعتبر ما يصطلح عليه (طريق الحرير) واحداً من المسارات البارزة في التاريخ الكوني وقد احتل منذ الألف الثالث قبل الميلاد دوراً محورياً في العلاقات التجارية والثقافية والصناعية والدينية ليس بين شعوب البلدان الواقعة عليه بل وعلى صعيد بلدان العالم كله إذ أنه إضافة إلى ما تقدم كان هذا الطريق هو طريق الأسفار الكبرى (ماركوبولو، ابن بطوطة) والحروب الكبرى (الإسكندر والمغول وتيمورلنك) وانتشار أبرز الديانات المعروفة (المسيحية والبوذية والإسلامية)، وفي أي مجال يمكن أن يذكر فيه دور هذا الطريق وتأثيره، فالنساطرة السوريون هم الذين نشروا المسيحية في الصين، وفي فترة الدولة الأموية التي كانت عاصمتها دمشق وصل الإسلام إلى مشارف الصين وما زالت الجدران الملونة والتماثيل في غربي الصين وآسيا الوسطى تشهد على ما قام به السوريون حيث تحمل صور تجار قدموا من سورية وهكذا لا نستغرب أن نجد مؤلفات مبكرة تعبر عن أهمية دور سورية على طريق الحرير ككتاب الألماني هيرمان (طريق الحرير القديم بين الصين وسورية ١٩١٠)، والسؤال الآن هو ما هو دور العرب بشكل عام وسورية بشكل خاص في رسم ملامح طريق الحرير هذا؟

يزخر التراث العربي بمختلف مجالاته الأدبية والجغرافية والتاريخية، بما يبرز مادة الحرير وأهميته وطرائق صناعته وصنّاعه وتجاره وأنواعه وألوانه ومجالات استعماله، مع اعطاء صورة كاملة اجتماعية صناعية جغرافية عن الصين (موطن الحرير) وبدقائق لا تجدها في مراجع بلغات أخرى وإذا توخينا

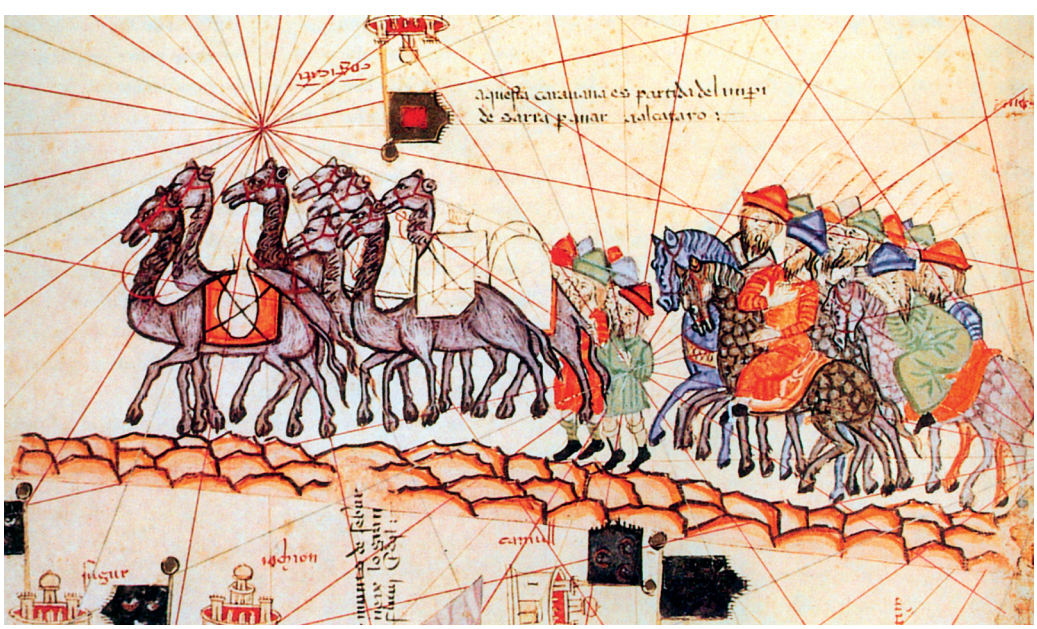

قافلة على طريق الحرير من الأطلس الكاتالوني الشهير (١٣٧٥ - ١٣٨٥) ويعتبر هذا العمل الأول من نوعه تاريخياً

منحوتة نسطورية سورية في الصين

الموضوعية فإن سكان طريق الحرير (المحدث تسميته) ابتداءً من قانسو وشينجيانغ في الصين مروراً بسمرقند وبخارى ومدائن ايران المختلفة ومدن العراق وتدمر ودمشق وحلب وانتهاءً بأنطاكية واسكندرونة، كانت لغتهم العلمية السائدة هي العربية وأنهم كتبوا لغاتهم الوطنية بالأبجدية العربية منذ الفتوحات الاسلامية الواسعة قبل أربعة عشر قرناً وتُقدِّم مؤلفات من قبيل (الروض المعطار في خبر الأقطار) للحميري و(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لابن تغري بردي و (معجم البلدان) للحموي و(الحيوان) للجاحظ و(الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب وغيرهم معلومات متفرقة ومفيدة عن تفاصيل لتجارة الحرير وإبداعات الفنون و الصناعات الصينية كالكاغد الصيني (الورق) والنقش الصيني (الرسم) والصواني والأواني والقرفة والخزف الخ، بل ويذكر اليعقوبي في تاريخه معلومات نادرة ربما لم يصلنا مصدر غيره أو أقدم منه في الإفادة بأن الملك خرابات الصيني وجه وفداً إلى أرض بابل وما اتصل بها، حمل معه الحرير وغيره من البضائع الصينية المختارة ليؤسس هذا الملك بذلك بداية العلاقات التجارية بين شرق الدنيا وغربه في زمن سحيق في القدم لم يستبن لي تاريخه (المجلد الأول صفحة ١٨١- دار صادر).

تاجران سوريان في لوحة كنسية على حدود الصين

و كما نوهنا إلى حداثة اصطلاح (طريق الحرير) الذي وضعه الألماني فون ريشثوفن F.V.Richthoffen فإن العرب سمو هذه المسارات بـ (طرق القوافل) و (طرق الحج) وتنبهوا إلى درجة مذهلة للمسافات بين المدائن الواقعة على هذه الطرق بل وإلى الأنهار والجبال والموارد والشعوب وبدقة وموضوعية وخصصوا لكل ذلك كتب الخرّاج حيث عددوا المراحل وأوضحوا المسالك ووصفوا الممالك وعمموا معارف لم تكن ميسرة للعامة من قبل ولعّل كتب التراث الجغرافي العربي والخرائط التي تركها الجغرافيون العرب كانت ولمدّة طويلة مناراً للإكتشافات الجغرافية اللاحقة وأنوه هنا بخارطة الادريسي من جانب ورحلات ابن فضلان وأبي دلف الخزرجي وابن بطوطة (بحراً وبراً) ودور كل ذلك في تقديم الكتابات العلمية الاولى عن بلدان طريق الحرير.

إن القيام بعملية التحليل المقارن للآثار والصنائع والفنون السمعية والبصرية الواقعة على طريق الحرير تقودنا إلى التوصل إلى نتائج تؤكد أن علاقات الصين وآسيا الوسطى مع سورية تعود إلى مرحلة أقدم بكثير مما ذكرناه من قبل، وإذا كانت الصين هي موطن الحرير وصناعته - و هذا أمر لا شك فيه- وتمثل الجناح الأيمن للعالم القديم وطرق مواصلاته فإن سورية تمثل الجناح الأيسر قبل أن تنطلق البضائع إلى البندقية وجنوه أو شبه الجزيرة الايبيرية، بل وحتى إلى سميرنا (إزمير الحالية في تركيا) أو القسطنطينية لتأخذ القوافل البرية أو البحرية من هناك اتجاهات اخرى. ولعّل اللجوء وكما قلنا إلى التحليل البصري المقارن الوارد في هذه الدراسة القصيرة سيكشف عن آلية وطبيعة الحوار الحضاري المتبادل بين دول طريق الحرير ولعلّ انتقال الناعورة كنظام للري من سورية إلى غربي الصين شرقا والأندلس (غربا) هو حجة كبرى للتأكيد على الدور الثقافي والصناعي والتجاري لطريق الحرير حيث ان

عمل غرافيكي نادر لسيدة سورية متزوجة نشر في كتاب عن (أزياء العالم في عصر النهضة) طبع في البندقية عام ١٥٩٠ و يظهر بوضوح اهتمام السورية بالألبسة الحريرية عالية الجودة و بقيم جمالية رفيعة

النواعير التي كانت منتشرة او المنتشرة حاليا في حوض العاصي (لاسيما حماه) وحلب ودمشق تمثل نظاماً محليا للري حيث أن نظام الري الدمشقي هو أمر متفرد على نطاق مدن العالم المعروفة قديما وحديثا اذا ما أخذنا بعين الاعتبار صنع الإنسان السوري لأفرع بردى السبعة التي توصل المياه إلى كل بقعة في هذه المدينة بما فيها قاسيون والمزة منذ آلاف السنين.

ربما قدمت سورية إلى البشرية عدداً من أهم ابداعاتها كالأبجدية ونظام الأرشفة والتدوين الموسيقي وغيرها، ولكن ما يهمنا في هذه العجالة أن نوضح بأنه يفهم من اصطلاح (طريق الحرير) بأن هذا الطريق هو ذو اتجاه واحد ونحن نقول كما في حال الطرقات الحديثة بأن هذا الطريق هو في واقع الأمر كان ذا اتجاهين ولدينا بدايةً مستند حديث واحد يأتي من أقدم المؤرخين العرب (اليعقوبي) سالف الذكر حينما قال بأن موفد الملك خرابات الصيني قد استقدم معه بأمر الملك من بابل وجوارها إلى الصين الآلات والصناعات المتداولة في شرقي المتوسط وقتئذ ومن هنا يمكن أن نفهم اكتشاف تمثال في تركمانيا قرب نيسا القديمة يطابق تماما تمثالاً تدمريا يجسد طفلة تحمل غصناً وحمامة وهو أمر شائع في الفن التدمري إضافة إلى الكتابة المنقوشة على خلفية التمثال وقد سبق لي وأن نوهت إلى ذلك غير مرة وفي أوقات مختلفة لاقارن هذا التمثال أيضاً مع أعمال للفنان بيكاسو الذي اعتقد انه قد تأثر بمنحوتات تدمر التي نحن بصددها حيث نجد أن الرؤية متشابهة بل ومتطابقة إلى حد بعيد، على الاقل في طبيعة المفردات وكما سنرى بعد إجراء عمليات المقارنة.

و يمكن ان يقال الكثير عن مفردة الجمل (الوسيلة الأساسية وربما الوحيدة للنقل والانتقال على طريق الحرير) ففي سورية استاثر الجمل باهتمام حضاراتها منذ عهود لا يمكن تحديدها بدقة ولكن أصبح شائعاً استعمال الجمل كمفردة فنية مع بداية العصور الكلاسيكية العربية ابتداءً من حضارات بلاد ما بين النهرين وحضارات سورية اللاحقة لاسيما الحضارة التدمرية بمفاهيم طريق الحرير، والتي نجد له (بعد ذلك بقرون عديدة) نماذج مقاربة في البندقية بايطاليا التي ارتبطت بعلاقات ومعاهدات تجارية مميزة مع سورية عبر العصور اضافة إلى انتشار مفردة الجمل في فنون وحضارات اسيا الوسطى وغربي الصين، ولا يوجد خلاف قوي على الاستنتاج بأن الجمل قد وجد لأول مرة في بلاد العرب حيث تكشف الآثار الآشورية على الأقل اسم جندب العربي الذي أهدى الآشوريين عددا من الجمال ولا يقلل من اهمية ما نقوله من ان يكون الجمل وسيلة أساسية للنقل والإنتقال على طريق الحرير لأن الجمل في هذه الحالة يعتبر وسيلة مواصلاتية بينما توظيف ذلك في عمل فني يعتبر فعلاً ثقافياً وحضارياً يُفعّل من حوار الحضارت وثقافات الشعوب .

وعود على بدء تعتبر تدمر من أهم محطات طريق الحرير والتي ازدهرت ازدهاراً تجارياً واجتماعياً وحضارياً بشكل لم تألفه مدينة تقع في قلب الصحراء، وأشتهرت ملكتها زنوبيا كواحدة من أبرز النساء في التاريخ ودغدغت بأمجادها وعقلها خيال الكتاب والفنانين في عصور طريق الحرير كافة، لاسيما في القرن التاسع عشر حينما غامرت أبرز سيدات المجتمع الانكليزي بالقدوم إلى هذه المدينة مروراً بدمشق ليعايشوا عروسة الصحراء تدمر، الوصيفة الخالدة لملكتها التي لم تُنس أبداً، فكانت السيدة هستر ستانهوب (١٧٧٦-١٨٣٩) التي زارت تدمر قاطعة مئات الأميال لتعايش ذكريات طريق الحرير الغامضة وكانت ايضا السيدة الحسناء جين دغبي (١٨٠٧-١٨٨١) التي تزوجت الشيخ العربي مجول المسراب وهي تقارب الخمسين عاماً مضحية بيومياتها المدينية (نسبة إلى المدينة) لتموت في دمشق وتدفن فيها.

وقد استأثرت الشام باهتمام عدد متزايد من سيدات إنكلترا فكانت ايزابيل بورتون (١٨٣١-١٨٩٦) زوجة السير ريتشارد بورتون مترجم كتاب الف ليلة وليلة إلى الإنكليزية وقنصل إنكلترا في دمشق ولن ينسى الشرق أبداً السيدة آن بلنت (١٨٣٧-١٩١٧) التي اغُرمت بالصحارى العربية والحصان العربي وسحر الشرق الرائع.

تعتبر دمشق عاصمة الشام، واحدة من المدن التجارية والصناعية والدينية التي قدمت إبداعاتها إلى العالم بإسمها ولتتسرب اصطلاحاتها إلى قواميس العالم وتأتي كلمة (الدامسك) بأهمية لا تقل عن اصطلاح (الحرير الصيني) وهنا تبرز المنافسة الكبرى في صناعة النسيج جلية واضحة وعبر التاريخ كله، وقد ذكرت شوارع دمشق وأسواقها ومتاجرها وخاناتها وصناعاتها الحرفية الدقيقة في أغلب كتب الرحالة بل و في كتابات و أشعار أبرز مبدعي العالم، وكانت دمشق دائماً نقطة هامة في مسار القوافل، منها تنطلق إلى جزيرة العرب ومصر والشمال الإفريقي جنوبا وغربا وإلى بلاد الأناضول شمالا وإلى الشرق عبر تدمر

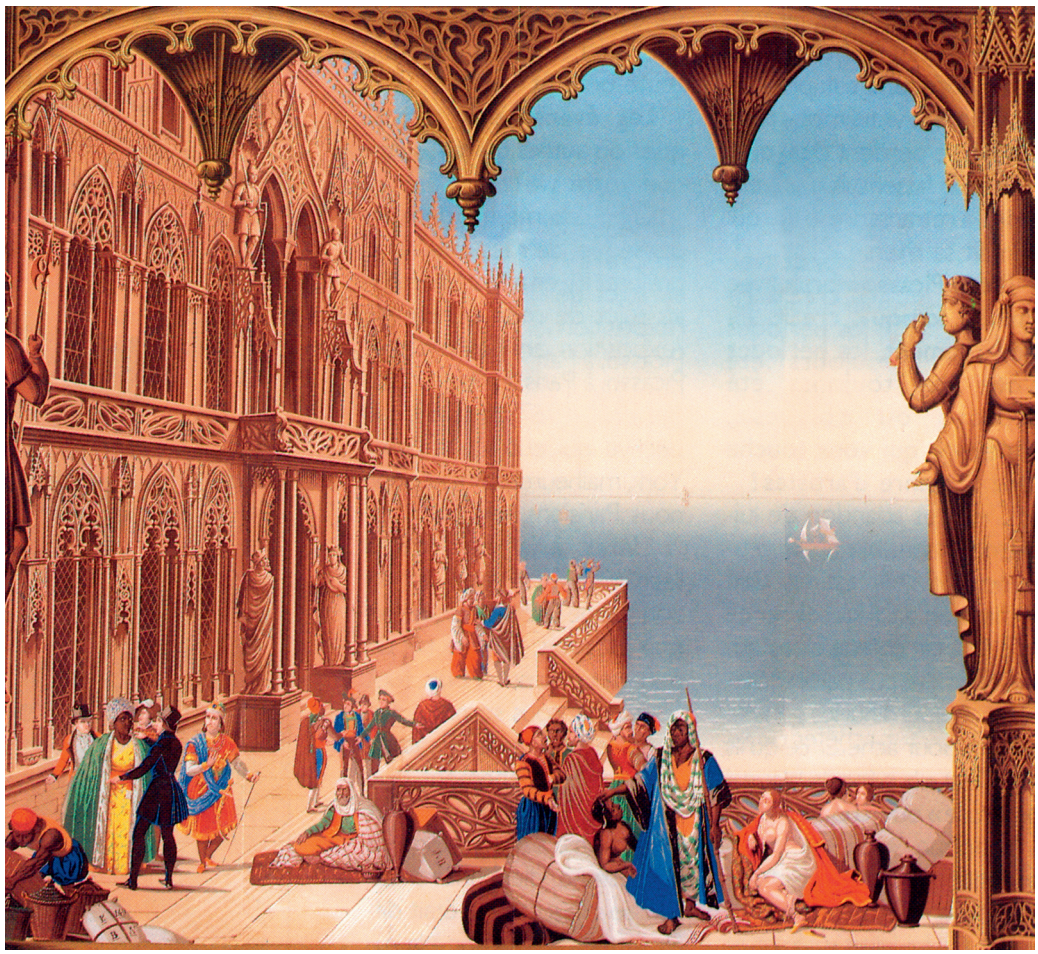

مدينة أوروبية متوسطية في لوحة للفنان جولز ريوتوت (١٨٤١ - ١٨٤٥) و يمكن ملاحظة كثافة التواجد الشرقي فيها

إلى أبعد مدينة في شرقي العالم القديم وازدادت أهمية دمشق مع الأيام مع توسع دائرة الحج الشامي لتصبح دمشق بحق مركز العالم أكثر من مرة، ولتستحق لقب أقدم عاصمة ما زالت مأهولة بالسكان في التاريخ .

أما حلب فهي تقع على بعد خطوات من البحر الذي يقود إلى أوروبة عبر أنطاكية والإسكندرونة ولذا إزدهرت حلب تجارياً كإحدى المدن المحورية ولينعكس كل ذلك على رخاء وحياة المدينة التي أبرمت فيها أولى المعاهدات التجارية الدولية وفتحت فيها أولى القنصليات في الشرق فاشتهرت خاناتها وأسواقها وصناعاتها بكل المعايير والمواصفات المتطورة لتصبح واحدة من أهم مدن الدولة العثمانية ونتمنى أن تكون الصور الوثائقية التي وضعناها في هذا الكتيب الصغير تحمل إجابات لمن يرغب في المزيد من الاطلاع على خفايا طريق الحرير السوري .

لوحة للفنان جيوفاني مانسوتي **Giovanni Mansueti** رسمت في نهاية القرن الخامس عشر أو بداية القرن السادس عشر لمشهدية تمثل إحدى يوميات مدينة البندقية في إيطاليا و يظهر بوضوح الوجود العربي و الإسلامي الزائر المكثف فيها مما يعكس عمق العلاقات التجارية وقتئذ بين دول و ممالك المتوسط

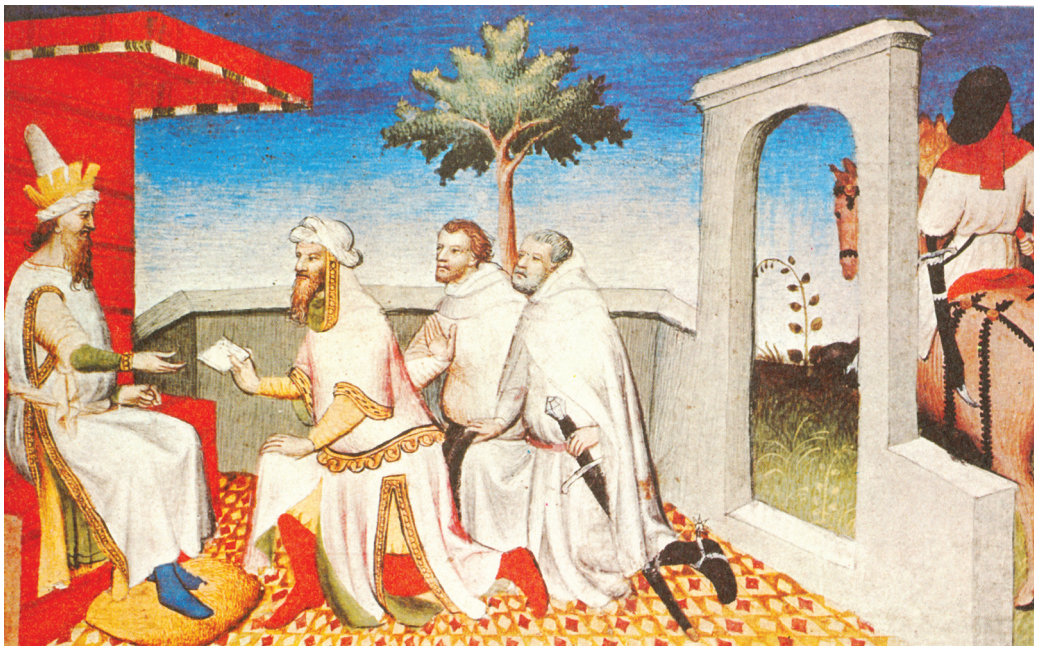

الإمبراطور قوبلاي يستقبل الرحالة ماركوبولو في منمنمة تجسد رحلته على طريق الحرير في (القرن الثالث عشر)

ابن بطوطة على طريق الحرير في لوحة افتراضية نشرت في مجلة الناشونال جيوغرافيك (ديسمبر ١٩٩١)

تدمر : درّة طريق الحرير

تدمر في لوحة للفنان كاساس L.F. Cassas موقعة في عام ١٨٢١

لوحة بانورامية فريدة لقوافل تعبر تدمر بالقرب من المقابر و تعكس هذه اللوحة الفاعلية التجارية المؤثرة لها، اللوحة هي للفنان جين بابتيست هيلير Jean-Baptiste Hilaire بتصرف للضرورة (نهاية القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر)

منحوتة عشتار وتيكه من تدمر

آثار تدمر في لوحة مائية للفنان فريدريك بيرلبرج (١٨٤٨-١٩٢١)

الملكة زنوبيا في لوحة افتراضية

تمثالان تدمريان يؤكدان على ألق الحضارة التدمرية و أزياء سكانها (الصورة إلى اليمين و الصورة إلى الاسفل)

حوار الحضارات على طريق الحرير

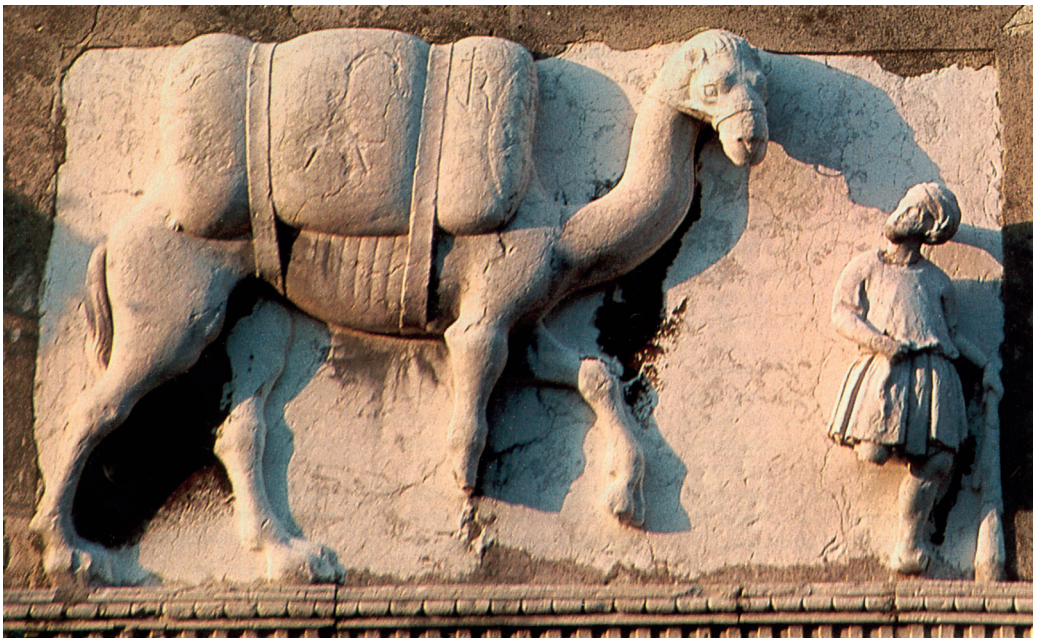

جمل في عمل نحتي من البندقية بايطاليا يعكس التأثيرات العربية المشرقية

عمل من سورية

تفصيل من نقش بارز من مسلة شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤) ق . م ، العراق

عمل من منطقة (وي) الشمالية في الصين (٣٨٦-٥٣٤) م

حفر بارز لقافلة رافدية محفوظة في المتحف البريطاني بلندن بعدسة المؤلف

حفر بارز من تدمر

منحوتة من متحف تدمر

منحوتة سورية

طرق القوافل في التراث الفني العربي

إلى اليسار عمل نادر من مقامات الحريري ١٢٣٧م يمثل تجاراً في قيلولة و جمالاً في حالة إستراحة

نزلاء نائمون في أحد الخانات قبيل إنطلاق قافلتهم عمل من مقامات الحريري ١٢٣٧م (إلى اليسار-الأسفل)

ثلاث منمنمات عربية تجسد قوافل في مناسبات مختلفة و تمثل إحداها قافلة الحج من رسم الواسطي، ١٢٣٧م (الأسفل إلى اليمين)

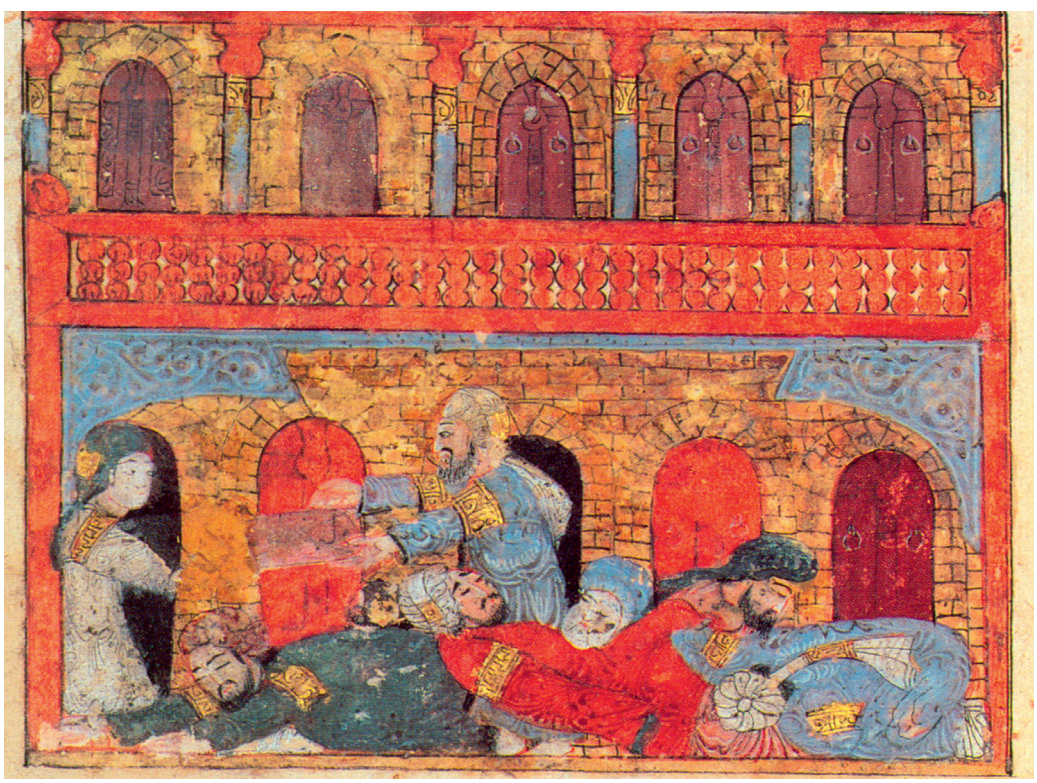

طريق الحرير في تراث الصين و آسيا الوسطى

عودة هسوان تسانك إلى الصين مع قافلة

احدى أسواق الصين التقليدية في لوحة استعادية معاصرة

جدارية تمثل استقبال السفراء في قصر افراسياب (القرن السادس الميلادي) متحف سمرقند

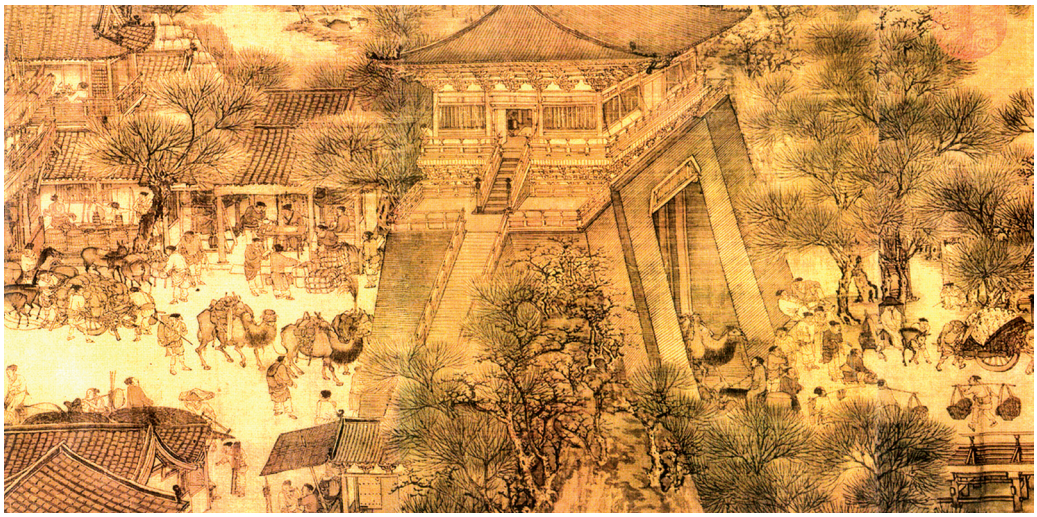

لوحة صينية تقليدية تجسد قافلة تدخل إحدى المدن

عمل معاصر يمثل مشهدا افتراضياً لقافلة تهم بالدخول إلى أحد الخانات بالصين

أطفال تدمر و حوار الحضارات

صورة لطفل سوري تم تصويره صدفة في ثمانينات القرن الماضي

إلى اليسار: تمثال لطفلة تدمرية تحمل بيد حمامة و بالأخرى باقة

الصورة إلى الأسفل: تمثال تدمري أو تقليد له اكتشف في تركمانيا بنيسا القديمة و هو بلا شك نسخة طبق الاصل عن الأول و بإمكاننا مقارنتهما أيضا بعمل لبيكاسو المنشور هنا (١٩٠١) م لتلمس الوشائج المشتركة بين حضارات مختلفة و الأصل سورية

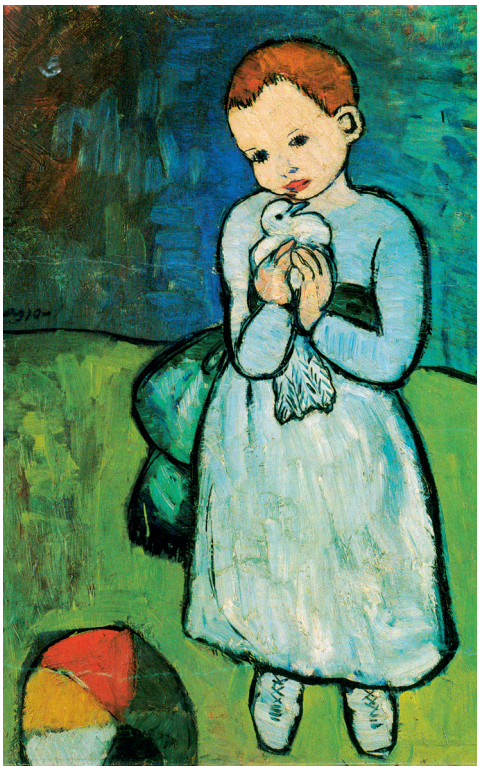

نواعير سورية على طريق الحرير

ناعورتان من حماه

ناعورة قرطبة في إسبانيا

ناعورة من الصين (الأسفل إلى اليمين)

ناعورة على فرات العراق (إلى الأسفل)

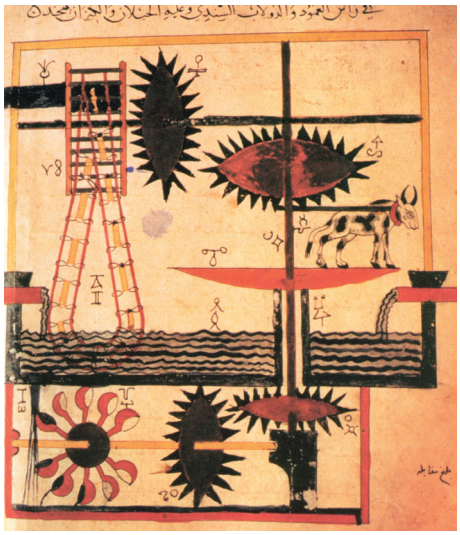

دراسة ميكانيكية لناعورة كما وردت في كتاب الجزري ١٢٠٦م

منمنمة أندلسية تجسد ناعورة كما وردت في قصة بياض و رياض (القرن الثالث عشر الميلادي)

لوحة تجسد ناعورة على النيل

حلب مركز التجارة العالمية لعدة قرون

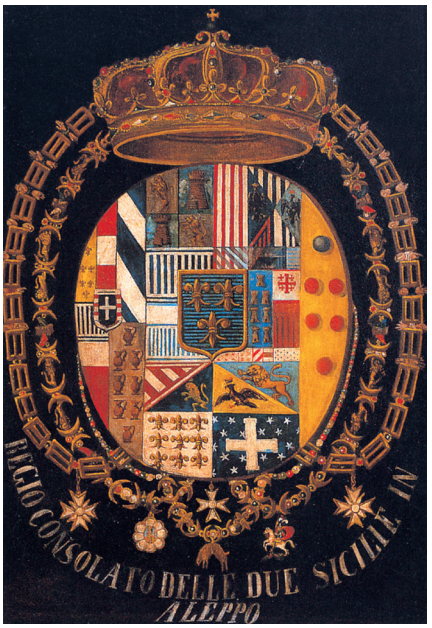

شعار قنصلية صقلية في بحلب

قافلة تغادر حلب تفصيل للعمل ادناه

عمل يجسد حلب كما كانت في عام ١٦٩٨م، نشر في كتاب كورنيليس ده بروان في رحلته إلى الشرق

دار بوخيه بحلب، قنصلية البندقية سابقاً، والتي تاسست في حلب عام ١٥٤٨م، من تصوير يوسف حسين

قلعة حلب كما تبدو في عام ٢٠٠٩

قوافل امام قلعة حلب في صورة وثائقية ربما تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر

قلعة حلب في لوحة للفنان J. C. Duval تعود إلى عام ١٩٢٥

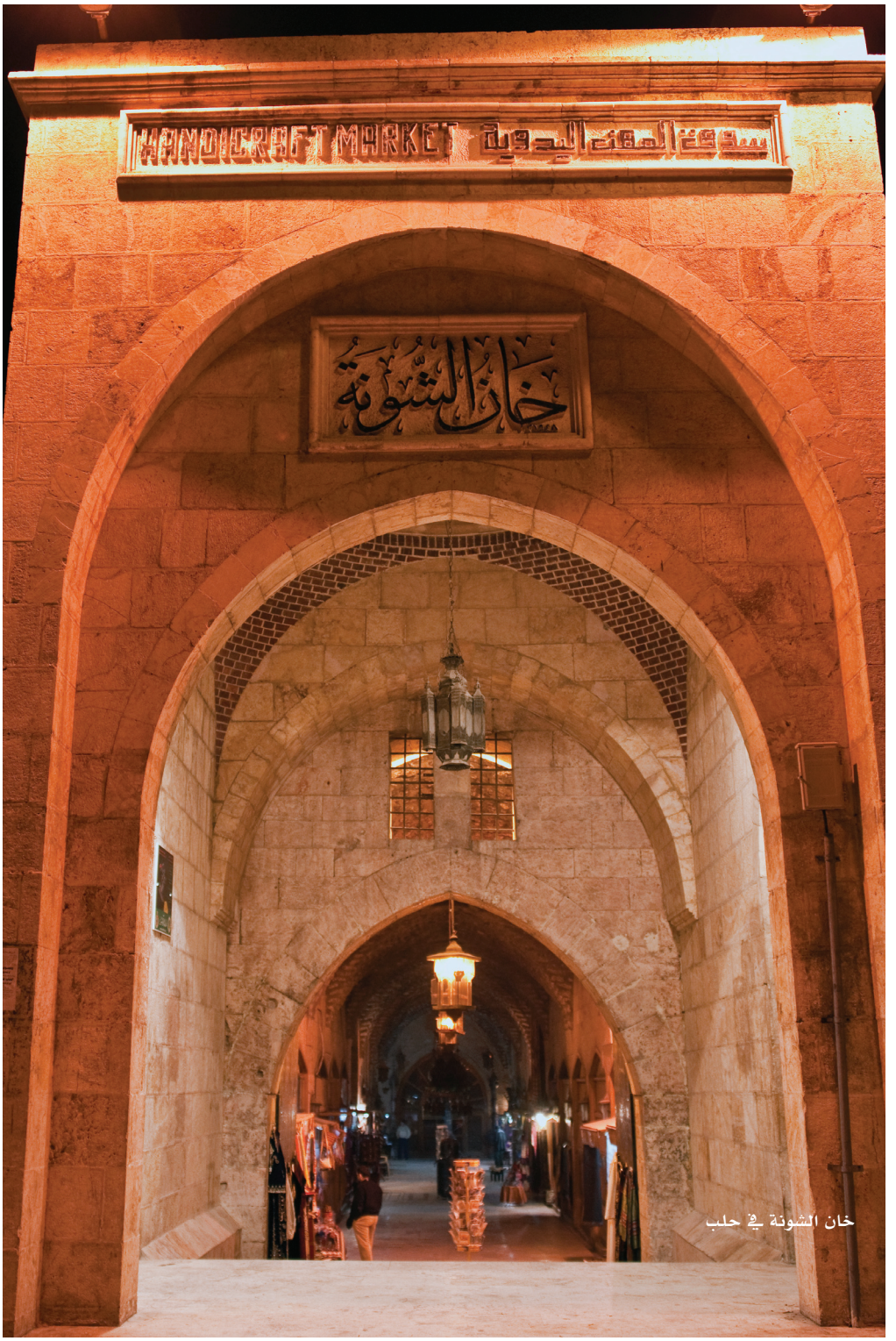

خان الشونة في حلب

دمشق موطن الدامسك والبروكار

قافلة قادمة إلى دمشق في لوحة للفنان إدوارد لير ١٨٦٤ (تفصيل)

خان أسعد باشا للفنان ريتشارد رين سبيرز (منتصف القرن ١٩)

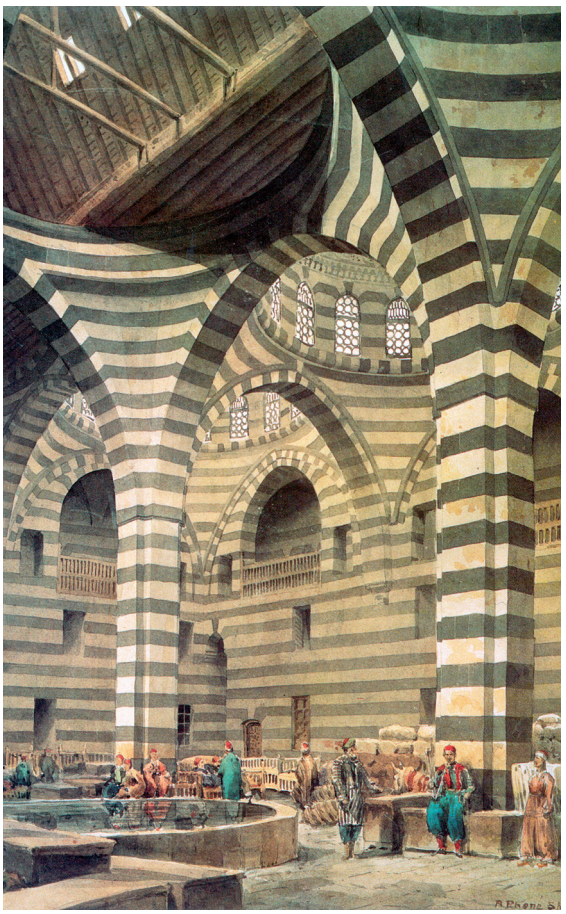

دمشقيتان بلباس من حرير (عام ١٩٤٦)

دمشق (القرن ١٩)

نسيج دمشقي يعرض في الهواء الطلق (في صورة تعود إلى عام ١٩٤٦)

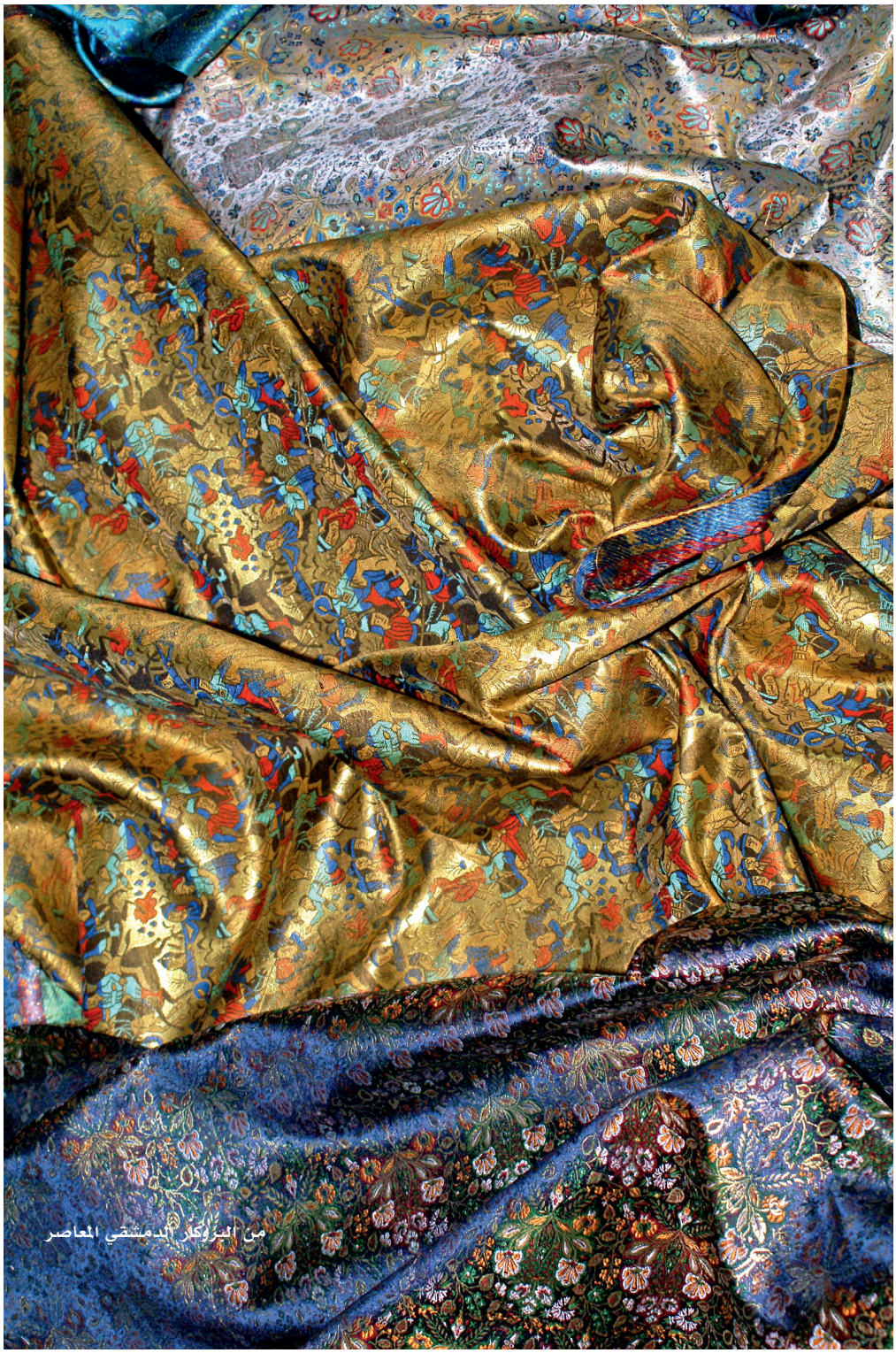
من البروكار الدمشقي المعاصر

خان أسعد باشا في لوحة للفنان تشالز روبرتسون (القرن ١٩)

سيدات انكليزيات على طريق الحرير السوري

جين دغبي بلباسها العربي وخلفها أطلال تدمر في لوحة للفنان كارل هاج (القرن ١٩)

السيدة جين دغبي

السيدة دغبي في شبابها (١٨٣١)
بريشة الفنان جوزيف ستيلر

مجول المسراب زوج السيدة دغبي
في لوحة لكارل هاج (١٨٥٩)

السيدة هيستر ستانهوب

لوحات تجسد السيدة ستانهوب في مناسبات مختلفة

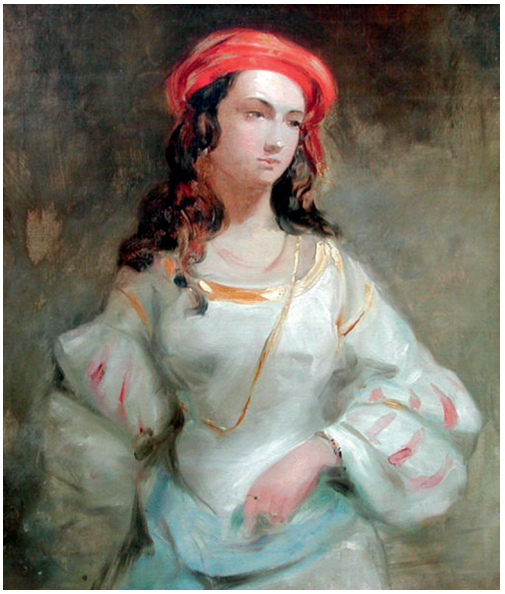

بورتون و آن بلنت

السيدة آن بلنت (القرن ١٩)

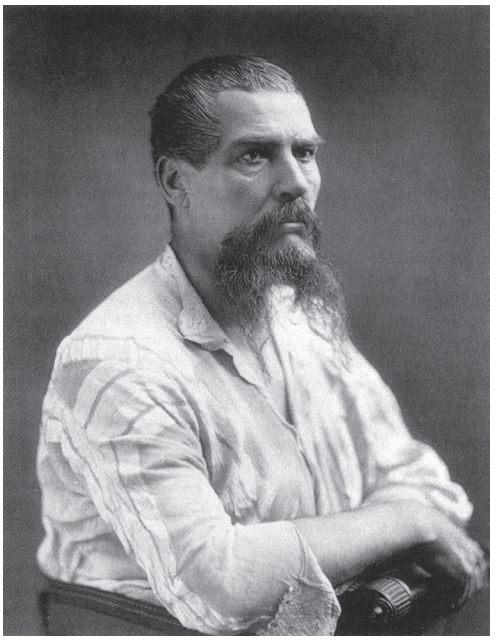

السيدة إيزابيل بورتون (الصورة العلوية) في لوحة تعود إلى عام ١٨٦٩ وهي زوجة السير ريتشارد بورتون (الصورة إلى اليمين)

الحرير العربي

حرير من نسج عربي مفردته الأساسية
الطاووس (إسبانيا القرن ١٢م)

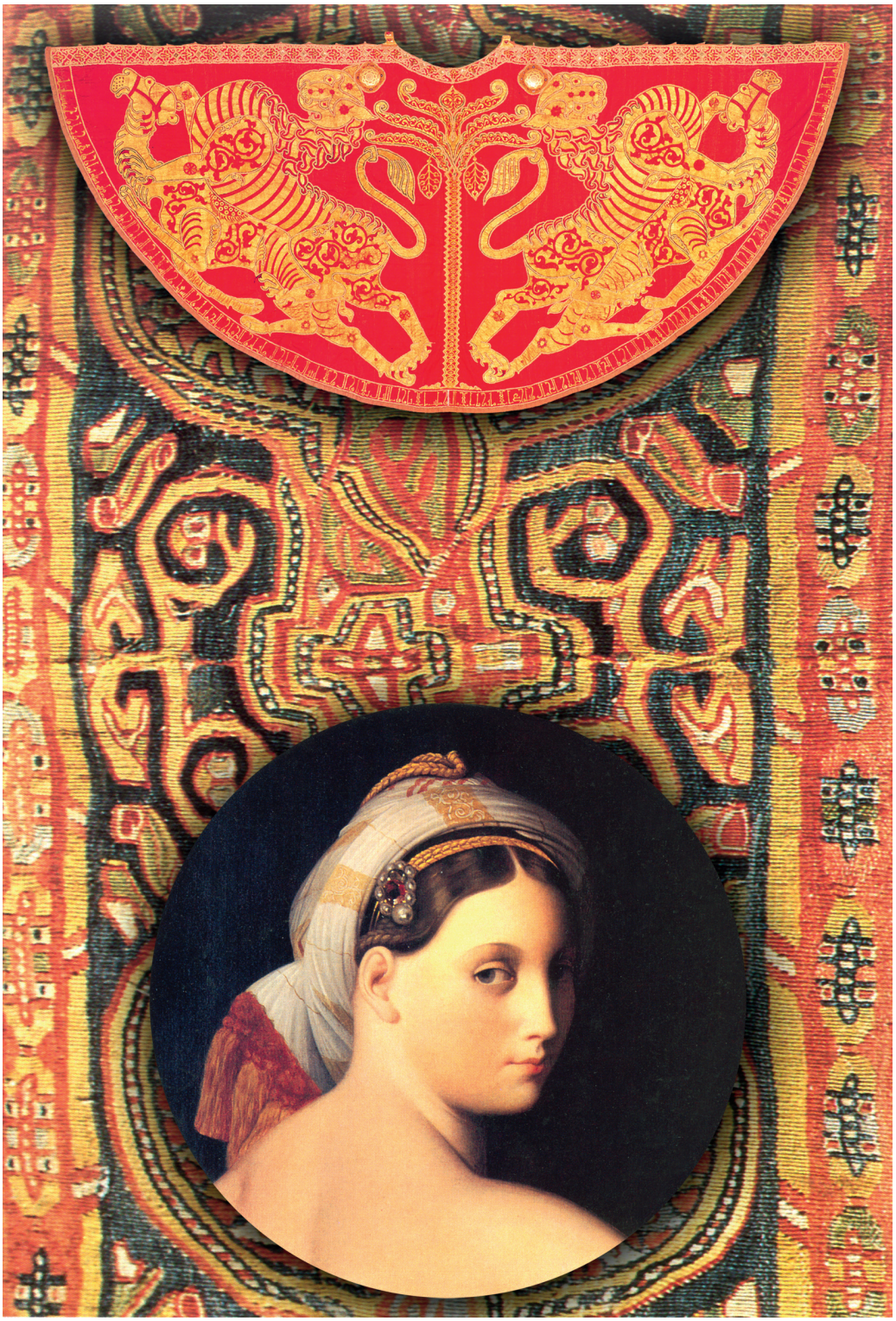

الصفحة ٤٦:

من الأعلى إلى الأسفل

١ - رداء روجرز الثاني الذي صنع في باليرمو بصقلية عام ١١٣٣ على أيدي حرفيين عرب

٢ - الخلفية وهي تمثل نسيجاً عربياً من الحرير اكتشف في كاتدرائية رودا ده إيسابينا في آراغون

٣ - من دراسة للوحة آودااليسك للفنان أنغر (١٨١٨) حيث يذهب عدد من النقاد بأن غطاء الرأس هو من الحرير السوري المصنوع في دمشق أو حلب

١

الصفحة ٤٧ و ٤٨:

الصورة رقم (١): قطعة من معطف مذهب صنع في حلب بطابع صيني (القرن ٢٠)

الصورة رقم (٣): حرير صيني يعود إلى عام ١٠٠ للميلاد اكتشف في تدمر وهي معروضة في المتحف الوطني بدمشق

الصورة رقم (٤): حرير من صناعة حلب

الصور رقم (٢ و ٥): أعمال من أنسجة مختلفة اكتشفت في تدمر

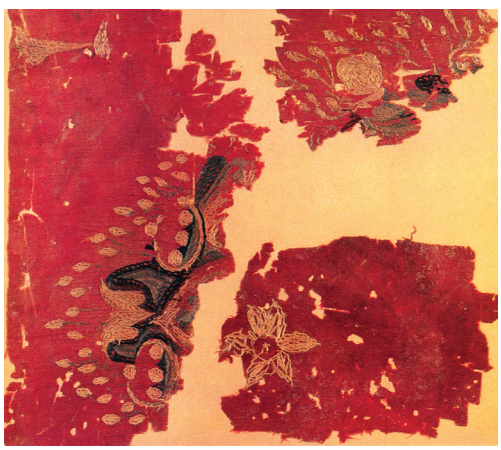

٢

٣

٤

٥

ملاحظـة

تم جمع وتصوير الوثائق في فترات زمنية طويلة
من مصادر مختلفة تجاوزنا التنويه عنها لضيق المجال